شوقية أخرى لم تنشر

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

قد يعجب قراء الرسالة الكرام في كافة الأقطار الناطقة بالضاد من حبي وإعجابي بشعر خالد الذكر أمير الشعراء شوقي بك . والسبب في ذلك بسيط جدا ، وهو أنني أعد شوقي القمة الشامخة في الأدب العربي ، تلك القمة التي لا يدانيها أحد قط منذ أن جدد بشار حتى الآن إلا حبيب بن أوس الطائي الملقب بأبي تمام ، أستاذ الشعراء في عصره ، والذي أعده أثقف شعراء زمانه ، فحبيب عندي من الشعراء القلائل الذين قلما تجود العربية بهم . وهو يختلف عن ابن الرومي وأحمد بن الحسين بسعة أفقه وخصب خياله وعمق ثقافته . ومن تصفح ديوانه وقرأ شعره قراءة دراسة واستقصاء علم ما أذهب إليه . ولا أريد في هذه المجالة أن أحلل شعره ، أو أشير إلى مواطن الإبداع في قصائده ، أو أختار له من نفائسه شيئا ، وإنما هي عجالة ألجأني إليها كلمة جاءت عرضا ، لذلك لم أشأ أن أمر على شعر أبي تمام دون أن أشير إلى آياته التي أبدع فيها ، وخصوصا بائيته الخالدة ومطلعها :

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

ورائيته :

الحق أبلج والسيوف عوار ... فحذار من أسد العرين حذار

ونونيته التي تعد في مصاف الرائية :

بذ الجلاد البذ فهو دفين ... ما إن به إلا الوحوش قطين

ومنها هذا البيت الخالد :

قد كان عذرة مغرب فافتضها ... بالسيف فحل المشرق الأفشين

ومنها هذه الأبيات :

فأعادها نهبى الثعالب وسطها ... ولقد ترى بالأمس وهي عرين

جادت عليها من جماجم أهلها ... ديم أمارتها طلى وشؤون

كانت من الدم قبل ذاك مفاوزاً ... غيرا فأمست منه وهي معين

وغيرها من القصائد التي يحفل بها الديوان . هذه كلمة مناسبة قلتها وأود أن أتوسع فيها في وقت آخر ، وخاصة عند تعرضي للدراسة الدكتور محمد مهدي البصير عن هذا الشاعر ؛ تلك الدراسة التي اشترتها منه وزارة معارف العراق العمومية بـ (٧٠٠) دينار وهي لا تستحق حتى الطالعة . فإذا ما قلت في المقدمة إن خالد الذكر المرحوم شوقي بك قمة شامخة في الأدب العربي فأنا لا أتعدى الواقع . وقبل أسابيع نشرت قصيدة له لم تنشر في ديوانه ، واليوم أزف لعشاق شعره قصيدة أخرى عثرت عليها عند صديق الأستاذ الشاعر خضر الطائي وهو محقق ديوان المرجي . وقد كان هذا الأستاذ قد حصل عليها منذ سنة ١٩٣٠ ميلادية وبقيت في أوراقه حتى هذه الأيام . وقد نظمها أمير الشعراء شوقي بك في تكريم الأستاذ سامي شوا عازف الكمان المشهور بعد عودته من أمريكا . وهأنذا أزفها إلى تلك الطبقة المثقفة في البلاد العربية كما زففت من قبلها قصيدته « جهاد مصر الوطني » . وقبل أن أدرج لهم القصيدة نفسها التي دعاها شوقي بـ « صاحب الفن » أود أن أهمس في أذن صديق الأستاذ علي شوقي بك وزير مصر المفوض في باريس أن لوالده رواية « الست هدى » و « البخيلة » ولا زالتا مخطوطتين ! فهل من الواجب الأدبي والوطني أن تبقى مخطوطات سيد شعراء العربية في دهاليز النسيان ؟ ! هذا ما أردت أن أعاتب به صديقي علي بك النجل الأكبر لأمير الشعراء ، وعسى أن تكون هذه الكلمة منبهة له أو لأخيه الأستاذ حسين صاحب كتاب « أبي شوقي » ...

لاشك أن القارئ الكريم مل من هذه المقدمة وهو يرغب في الشوقية التي لم تنشر إلا سنة ١٩٣٠ في جريدة مصرية عثر عليها صديقنا الأستاذ خضر الطائي الشاعر العراقي المعروف ، وها هي :

صاحب الفن

يا صاحب الفن هل أوتيته هبة ... وهل خلقت له طبعا ووجدانا
وهل وجدت له فى النفس عاطفة ... وهل حملت له فى القلب إعانا
وهل لقيت جمالا فى دقائقه ... غير الجمال الذى تلقاه أحيانا
وهل هديت لكنه من حقائقه ... يرد أعمى النهى والقلب حيرانا
الفن روض يمر القاطفون به ... والسارقون جماعات ووحدانا
أولى الرجال به فى الدهر مخترع ... قد زاده جدولا أو زاد ريحانا
البقرية فيه «غيره»(١) مالكه ... إذا مشى غيره لصا وجنانا
لا تسأل الله فنا كل آونة ... واسأله فى فترات الدهر فنانا

* * *

يا واحد الفن فى أشجى معازفه ... هذا أوان الشفاء العدل قد آنا
يا رب ليل سمرنا الراح فاختلفت ... على بنانك للسمار ألحانا
تلك اللعيبة من عود ومن وتر ... لولا بنانك لم تجمل لها شانا
قد آنست رحمة فى الصدر فانكأت ... بجانب الأذن تستوحيك شيطانا
كأنها عش طير هاج آهله ... من كل ناحية ينساب أشجانا
ضمتها وتواصت راحتاك بها ... ضم الوليدة إشفاقا وإحسانا
تملى عليها الذى توحى إليك به ... كأن «داود» و «المزمار» مابانا
حركتها فأتاها الروح فاندفعت ... تبكى وتضحك أوتارا وعيدانا
يا طيبها حين تحدوها بمنجرة ... كخرطم النحل أرواحا وألوانا
مصرية النبر وهابية(٢) عذبت ... شدوا ونوحا وترجيعا وتحنانا
ذكرت خلقا وراء البحر مغتربا ... مآلفا وسبابات وأوطانا
غنيتهم بأغانى المهد فالتمسوا ... فى ملتقى القوس والأوتار لبنانا
ولو هتفت «بيتهوفن» ما انصرفت ... لك القلوب وإن صادفت آذانا

سقيتهم من سلاف طالما دخلت ... عليهم المهد أعنابا وألبانا
فن تمطل منه الشرق آونة ... وكان شغل بنى العباس أزمانا

بهذا يختم شوقى هذه الرائعة التى قالها فى تكريم أمير الشعراء الأستاذ سامى شوا عند عودته من أمريكا. ولا أريد أن أعلق عليها بمثل ما علقت على قصيدته السالفة، لأن فى العراق أقواما يسوؤهم أن يكون شوقى أعظم شعراء العربية بعد أبى تمام، فهم يريدون أن تقول - ونجازف بالقول - إن الرصافى أعظم منه. وأنا لا أريد أن أجارى هؤلاء ومنهم الدكتور مهدى البصير وبعض أساتذة الأدب العربى فى العراق، لأننى أفهم منهم لمعانى الشعر ودقائقه، ولكن على رغم ذلك أقول إن شوقى هو الشاعر المطلق، وغيره من شعراء العراق كالرصافى والزهاوى ساهما إلا أقزام صغار؛ فهلا يعتبر الجاهلون

بغداد عبد الغفار مكى الناصرى

(١) كلمة غير أظنها محرفة
(٢) العيبة — تصغير لعبة وهى الدمية
(٣) أى موهوبة *

* (الرسالة) الأقرب إلى الصواب أن تكون وهابية منسوبة إلى عبد الوهاب المغنى المعروف وقد كان شوقى شديد الاعجاب به

تاريخ الأدب العربى

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوى، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع اثنتى عشرة مرة فى ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد